وصية عمرو بن كلثوم لأولاده

دراسة تحليلية

في ضوء علم اللغة النفسي

إعداد الدكتور

محمد حسين محمود

مدرس بقسم أصول اللغة

كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

وصية عمرو بن كلثوم لأولاده
دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

محمد حسين محمود
قسم أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالقاهرة ـــــ جامعة الأزهر، مصر.
البريد الجامعي: mohamedhussin74@azhar.edu.eg

الملخص

يدور هذا البحث حول وصية لعمرو بن كلثوم لأولاده في العصر الجاهلي، تلك الوصية الجامعة لكل القيم الأخلاقية النبيلة، وقد خاض البحث غمار علم اللغة النفسي محللًا الوصية في ضوئه، كاشفًا عن أهم الدلالات الصوتية، والصرفية، والتركيبية التي تتعانق وتتكاتف في كشف اللثام عن المعنى المراد من هذه الوصية، وكشف البحث عن شخصية عمرو بن كلثوم السويَّة التي تأدَّبت بآداب الإسلام قبل أن تعرف الإسلام وآدابه ، وقد قسم البحث الوصية إلى عدة فقرات، واضعًا كل فقرة تحت مبحث معين يناسب مضمونُه مضمونَ الفقرة، محللًا كلَّ فقرة تحليلًا صوتيًّا، ذاكرًا الفونيمات التركيبية، وفوق التركيبية، علاوة على التحليل الصرفي، وما تفيده الصيغ والأفعال، ثم التحليل التركيبي، وما تشير إليه التراكيب من دلالات، كلّ ذلك أدى إلى إبراز شخصية عمرو المنطوية على حب كبير لأولاده؛ مما دعاه إلى إلقاء هذه الوصية الجامعة لكل مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام وأتمَّها وأرسى قواعدها.

الكلمات المفتاحية: وصية ، دراسة تحليلية ، علم اللغة النفسي.

Amr bin Kulthum's will to his children
an analytical study in the light of psycholinguistics

Muhammad Hussein Mahmoud

Department of Linguistics at the Faculty of Arabic Language in Cairo - Al-Azhar University, Egypt

Email: mohamedhussin74@azhar.edu.eg

Abstract:

This research revolves around the will of Amr Ibn Kulthum to his children in the pre-Islamic era, that comprehensive commandment of all noble moral values. This commandment, and the research revealed the personality of Amr bin Kulthum, who was well-behaved with the etiquette of Islam before she knew Islam and its etiquette.The research divided the commandment into several paragraphs, putting each paragraph under a specific topic whose content fits the content of the paragraph, analyzing each paragraph phonetically, mentioning the synthetic and superstructural phonemes, in addition to the morphological analysis, and what the formulas and verbs benefit, then the synthetic analysis, and what the structures refer to. Semantics, all of this led to highlighting Amr's personality, which includes a great love for his children, which prompted him to deliver this comprehensive commandment of all the noble morals that Islam came, completed and laid down its rules.

Keywords: will . analytical study , psycholinguistics.

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سـيدنا محمد النبي العربي الأمي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد...

فالوصية هي وعاء الفكر الذي يضع فيه الموصي خلاصة تجاربه في حياته؛ لإرشاد من تُوجَّه إليهم الوصية، والوصية هي إحدى فنون النثر الأدبي؛ ونظرًا لأهميتها ودورها النفسي فى التوجيه والإرشاد اتخذت قالبًا لغويًّا خاصًّا.

وعند مطالعة فنِّ الوصايا في العصر الجاهلي وقع نظري على وصية عمرو بن كلثوم لأولاده، وعند النظر في ثنايا كلمات هذه الوصية وجدتها تحتوي على قيم تربويَّة، وروحيَّة، وأخلاقيَّة رائعة ذات أثر نفسيّ واضح جليّ في نفسية من توجَّه إليهم.

وجاءت الوصية موافقة لتعاليم ديننا الحنيف؛ مما يدل على شخصية عمرو بن كلثوم السويَّة التي تأدَّبت بآداب الإسلام قبل أن تعرفها؛ ومن ثم وجَّه الباحث وجهته صوب دراسة هذه الوصية دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي الذى هو أحد فروع علم اللغة التطبيقي.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث.

أما **المقدمة** فقد أشرت فيها إلى أهمية البحث، وسبب اختياره.

والتمهيد تحدثت فيه عن:

١ــ التعريف بالوصية وأنواعها.

٢ــ إضاءة حول التعريف بعمرو بن كلثوم.

ثم جاءت الدراسة في خمسة مباحث:

- **المبحث الأول:** عمر طويل وخبرة للحياة.
- **المبحث الثاني:** الجزاء من جنس العمل.

- **المبحث الثالث:** علاقات أسرية ونصائح أبوية.
- **المبحث الرابع:** أخلاق محمودة.
- **المبحث الخامس:** الحذر الحذر.

ثم جاءت الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي تمخَّض عنها البحث.

هذا، وما توفيقي إلا بالله... عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

التمهيد

أولًا: تعريف الوصية وأنواعها:

الوصية لغة:

الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى وَصْلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، وَوَصَيْتُ الشَّيْءَ: وَصَلْتُهُ، وَيُقَالُ: وَطِئْنَا أَرْضًا وَاصِيَةً، أَيْ إِنَّ نَبْتَهَا مُتَّصِلٌ قَدِ امْتَلَأَتْ مِنْهُ. وَوَصَيْتُ اللَّيْلَةَ بِالْيَوْمِ: وَصَلْتُهَا.

وأوصى له بشيء وأوصى إليه: جعله (وصيته)، وأوصى الرجل ووصَّاه: عهد إليه، وتواصى القوم أي: أوصى بعضهم بعضًا، والاسمُ: الوَصاةُ والوِصايَةُ، والوصِيَّةُ، وهو المُوصَى به أيضًا، و﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾[النساء:١١]، أي: يفرض عليكم، وقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ [الذاريات:٥٣] أي: أوصى به أولُهم آخرَهم، والوصاية تأتي بفتح الواو وكسرها، وسُمِّيت الوصية وصية؛ لاتصالها بالميت، و الموصي الذى يوصي والذى يُوصَى له، فهو من الأضداد(١).

الوصية اصطلاحًا:

«فن نثري يمتاز بجودة الصياغة يقدم فيه صاحبه خلاصة تجربته لعزيز عليه؛ لكي يقيه المخاطر، ويحفظه من الزلل»(٢)، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن الوصية وصيتان: «وصية الأحياء للأحياء، وهي أدب وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرة بصالح عمل، ووصية الأموات للأحياء عند الموت بحقٍّ يجب عليهم أداؤه، ودين يجب عليهم قضاؤه»(٣).

---

(١) ينظر: مادة [و ص ي] في الصحاح للجوهري، ومقاييس اللغة لابن فارس، ومختار الصحاح للرازي، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، وينظر: فن الوصايا وتحليل بعض الوصايا في العصر الجاهلي لجهاد يسر راتب.

(٢) ينظر: الوصايا في عصر صدر الإسلام د. علي حسين محمد ص٢٠٦، مجلد ٢٠، العدد (١) جامعة تكريت للعلوم.

(٣) ينظر: لباب الآداب لأسامة بن منقذ، باب الوصايا ص١، تح: أحمد شاكر، ط١ ١٩٨٧، ط: مكتبة السنة بالقاهرة، وينظر: فن الوصايا لجهاد يسر.

والوصية أيضًا «نوع من الأدب، غايته التوجيه والإرشاد، والحثُّ على اكتساب المحامد، أو التبصير بحسن السياسة، أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق»[١]، والوصية أيضًا «الثمرة التي يكتسبها الفرد في حياته اليومية، ومن تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه، وهي كالحكمة ولعلها تتكون من الحكم والأمثال»[٢].

أنواع الوصايا:

تعدَّدت وتنوَّعت أنواع الوصايا لتشمل كل القيم الروحية، والأخلاقية، والأدبية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، ثمَّ جاء الإسلام ورسَّخ هذه القيم.

ويمكن حصر هذه الأنواع فيما يلي:

١ــ وصايا الحكماء إلى أبنائهم وأبناء العشيرة.

٢ــ وصايا الزواج.

٣ــ وصايا لمن اعتزم السفر.

٤ــ وصايا الملوك وأبناء الملوك.

٥ــ وصايا الآباء للأبناء[٣].

ويمكن إرجاع أنواع الوصايا إلى نوعين اثنين، هما:

١. **وصايا اجتماعية:** وهي كالوصايا المتعلقة بالزواج، والمال، والصداقة، والعناية بالخيل وإكرامها، ومكارم الأخلاق كتهذيب اللسان، وتربية النفس، والحثّ على الصدق، والبذل، والجود.

٢. **وصايا سياسية:** وهي التي تكون بين الراعي والرعية، والدعوة إلى الحرب، والدعوة إلى السلم، والتحذير من التنازع[٤].

(١) ينظر: أساليب النثر الفني للطيف محمد العكام، باب الوصايا ص١٠٥، ط: مطبعة الآداب بالنجف.
(٢) ينظر: الوصايا في الأدب العربي القديم لسهام فريح ص١٧، ط: مكتبة المعلا بالكويت.
(٣) ينظر: الوصايا في عصر صدر الإسلام د. علي حسين محمد ص٢١٢، وفن الوصايا لجهاد يسر راتب ص٣، ٤.
(٤) ينظر: تاريخ الأدب الجاهلي د. حنفي محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٦٧، قطاع اللغة العربية.

ثانيًا: إضاءة حول التعريف بعمرو بن كلثوم:

هو أبو عبَّاد عَمْرو بن كُلْثُوم بن مَالك بن عتاب بن سعد بن زُهَيْر بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عَمْرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن سعد بن عدنان(١).

ويكنى أبا الأسود، وقيل أبا عمير، وهو فارس، شاعر، مقدم(٢).

أما عن تاريخ ولادته فلم تذكره المصادر، وكذلك مكان ولادته غير معروف بالتحديد، وقد جعل كوسين دي برسفال مولده حوالي سنه ٥٢٥م، وأغلب الظن أنه ولد في بلاد ربيعة، أي في شمالي الجزيرة العربية(٣).

وكان والده من سادات قومه، فتزوج ليلى بنت المهلهل بن ربيعة التغلبي الشاعر الفارس الذي ذاع صيته في حرب تغلب وبكر، فنشأ عمرو يحوطه الشرف من الجانبين في قبيلة من أعظم قبائل العرب، وأقواها في العصر الجاهلي، فعمرو بن كلثوم نشأ في بيت من أعالي بيوت قبيلة تغلب.

وهذه النشأة جلبت على عمرو كثيرًا من الصفات، منها العجب بنفسه، والفخر بالأهل والقوم، وكذلك جلبت عليه خصالًا حميدة كالشاعرية، والفروسية، والخطابة، والكرم، والشجاعة، تلك الخصال التي كانت سائدة في العصر الجاهلي اتَّصف بها عمرو؛ مما جعله يسود قومه فى سن مبكرة، فقد ذكر أنه ساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة(٤).

---

(١) ينظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١٥١/١، شرح: محمود محمد شاكر ، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٢٢٨، تح: أحمد محمد شاكر، ط: دار الحديث بالقاهرة سنه ١٤٢٣ = ٢٠٠٣م، معجم الشعراء للمرزباني ص٦، تح: عبد السند أحمد فراج، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٤٦/١١، ط: دار الثقافة ببيروت ط٦ سنة ١٩٨٣م.

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ص٦.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم ص١٠، تح: د. اميل يعقوب، ط: دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثانية.

(٤) ينظر: ديوان عمرو بن كلثوم، تح: اميل يعقوب ص١٠.

وسوف تتضح هذه الخصال عند تحليلنا للوصية، وأثرها في اختيار الكلمات والألفاظ الموصية، التي تدل على نفسٍ سوية تأدبت بآداب الإسلام قبل أن تعرفها.

وفاته:

تباينت المصادر فى تحديد سنة الوفاة، لكن من المعلوم أنه عمّر طويلًا، فقد جاء في أحد المصادر أنه عمّر مائة وخمسين سنة، وقال كوسين دي برسفال: إنه عاش مائة سنه، وعين لويس شيجو السنة ٦٠٠م، وقال: هي سنة الوفاة(١).

ورأى عمرو من ولده وولد ولده خلقًا كثيرًا، وكان خطيبًا حكيمًا(٢).

وبعد هذه الإطلالة السريعة حول التعريف بعمرو بن كلثوم تبين للباحث أن عمرو صاحب شخصية حكيمة، قوية، سوية، تحمل من الخبرات الحياتية الكثير والكثير بسبب طول العمر؛ فقد كان قويًّا في شبابه، حكيمًا في شيخوخته، صاحب عقل راجح، ورأي سديد صائب، ملمًّا ببواطن الأمور، فيلسوفًا اجتماعيًّا، عارفًا بأمراض المجتمع، ناصحًا بعلاجها، وطبيبًا نفسيًّا يعرف كيف يتعامل مع الآخرين خاصَّة أولاده، وهذا ما سنعرفه عند تحليلنا للوصية.

(١) المصدر السابق ص١٥، ١٦.
(٢) ينظر: معجم الشعراء للمرزباني ص٧.

نصُّ الوصيَّة

لقد اعتمد البحث في نص الوصية على كتاب (جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام) لأحمد زكي صفوت ج١ ص١٢١، ١٢٢.

أوصى عمرو بن كلثوم التّغْلبي فقال: "يا بَنِيَّ، إنَّي قد بَلَغْتُ مِن العُمُرِ ما لم يَبْلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي، ولا بُدَّ مِن أَمْرٍ مُقْتَبَلٍ، وأَنْ يَنْزِلَ بي ما نَزَلَ بالآبَاءِ، والأَجْدَادِ، والأُمَّهَاتِ، والأولادِ، فاحْفَظُوا عَنِّي ما أُوصِيكُمْ بِهِ:

إنّي واللهِ ما عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إلاَّ عُيِّرَ بِي مِثْلَهُ إنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، وَمَن سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّوا عن الشَّتْمِ؛ فإنَّه أَسْلَمُ لأَعْرَاضِكم.

وَصِلُوا أرحامَكُم تَعْمُرْ دَارُكُمْ، وَأَكْرِمُوا جارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ، وَزَوِّجُوا بناتِ العِمِّ بَنِي العَمِّ؛ فإنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَّ إلى الغُرَبَاءِ فلا تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكْفَاءَ، وأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّساءِ مِن بُيوتِ الرِّجالِ؛ فإنَّه أَغَضُّ للبَصَرِ وأَعَفُّ للذّكر، ومتى كانتِ المُعَايَنَةُ واللِّقاءُ ففي ذلك دَاءٌ مِن الأَدْواءِ، ولا خَيْرَ فيمن لا يَغَارُ لِغَيْرِه كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِه، وقَلَّ من انْتَهَكَ حُرْمَةً لِغَيْرِهِ إلاَّ انْتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ.

وامْنَعُوا القَرِيبَ مِن ظُلْمِ الغَرِيبِ؛ فإنَّك تُذِلُّ على قَرِيبِكَ، ولا يَحُلَّ بِكَ ذُلُّ غَرِيبِكَ، وإذا تَنَازَعْتُم في الدِّماءِ فلا يكن حَقُّكم لِلِقَاءِ؛ فرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِن أَلْفٍ، وَوُدٍّ خيرٌ مِن خُلْفٍ، وإذا حُدِّثْتُم فَعُوا، وإذا حَدَّثْتُم فَأَوْجِزُوا؛ فإنَّ مع الإكْثارِ يكونُ الإهْذَارُ، وموتٌ عاجِلٌ خيرٌ مِن ضَنًى آجِلٍ، وما بكيتُ مِن زَمَانٍ إلاَّ دَهَانِي بعدَه زَمَانٌ، وربما شَجَانِي مَن لم يكنْ أَمْرُهُ عَنانِي، وما عَجِبْتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إلَّا رَأَيْتُ بعدَها أُعْجُوبَةً.

واعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السُّيُوفِ.

ولا خيرَ فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَب، ولا فيمن إذا عُوتِبَ لم يُعْتِبْ، ومِن النّاسِ مَن لا يُرْجَى خَيْرُه ولا يُخَافُ شَرُّهُ؛ فَبَكْؤُهُ خَيْرٌ مِن دَرِّهِ، وعُقُوقُه خيرٌ مِن بِرِّهِ، ولا تُبَرِّحُوا في حُبِّكُم؛ فإنَّه مَن بَرَّحَ في حُبِّ آلَ ذلك إلى قَبيحِ بُغْضٍ، وكَم قَدْ زَارَني إنسانٌ وَزُرْتُه فانقلبَ الدَّهرُ بنا فُبُرْتُهُ، واعلموا أنَّ الحَكِيمَ سَلِيمٌ، وأن السَّيْفَ كَلِيمٌ؛ إنّي لم أَمُتْ ولكن هَرِمْتُ، ودَخَلَتْنِي ذِلَّةٌ فَسَكَتُّ، وَضَعُفَ قَلبي فَأَهْتَرْتُ، سَلَّمَكم ربُّكُمْ وحيَّاكُمْ"(١).

(١) ينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام لأحمد زكي صفوت ١٢١/١، وتاريخ الأدب الجاهلي د. حفني محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٧٣.

المبحث الأول

عمر طويل وخبرة للحياة

وذلك من خلال حديث عمرو عن تعميره في الحياة، وأثر هذا العمر الطويل على ما اكتسبته نفسه من خبرات وتجارب حياتية.

يقول عمرو: "يا بَنِيَّ، إِنِّي قد بَلَغْتُ مِن العُمُرِ ما لم يَبْلُغْ أَحَدٌ مِن آبَائِي وأَجْدَادِي، ولا بُدَّ مِن أَمْرٍ مُقْتَبِلٍ، وأَنْ يَنْزِلَ بي ما نَزَلَ بالآباءِ، والأجدادِ، والأُمَّهَاتِ، والأولادِ، فاحْفَظُوا عَنِّي ما أُوْصِيكُم بِهِ"(١).

أولًا: الدلالات الصوتية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية:

١ــ الفونيمات الرئيسة (التركيبية):

يقصد بالفونيم: «أصغر وحدة صوتية ذات طابع صوتي متميز يؤدي استعمالها إلى التفريق في المعنى، والتفريق لا يقتصر على المعنى المعجميَّ، بل يشمل الصرفيَّ، والمعنى النحويَّ»(٢).

ويعرف أيضًا بأنه: «أصغر وحدة صوتية ذات أثر في الدلالة، أي أنها إذا حلَّت محلَّ غيرها مع اتحاد السياق الصوتي تغيرت الدلالة واختلف المعنى»(٣).

وقد أشار الدكتور كمال بشر إلى أنه على الرغم من تباين الآراء في تعريف الفونيم إلَّا أن هذه الآراء تقود في النهاية إلى نتائج متماثلة متشابهة، وتؤدي إلى أهداف معينة، تتلخص فيما يأتي:

---

(١) ينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام لأحمد زكي صفوت ١٢١/١، وتاريخ الأدب الجاهلي د. حفني محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٧٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم الأصوات العربية لأستاذنا الأستاذ الدكتور أحمد علي ربيع ص١٨٠، ط: ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

(٣) ينظر: علم اللغة العام أسسه ومناهجه لأستاذنا الأستاذ الدكتور عبدالله ربيع محمود ص١٤٩، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

١- الفونيم وحدة صوتية تميز كلمة من أخرى، أي تقوم بالتفريق بين الكلمات من الناحية الصوتية.

٢- الفونيم وسيلة مهمة في تسهيل عملية تعليم اللغات الأجنبية.

٣- لفكرة الفونيم دور مهم في ابتكار الألفبائيات، أو نظم الكتابة بصورة ميسَّرة دقيقة(١).

ويطلق على الفونيمات الرئيسة (فونيمات تركيبية)، والمقصود بالفونيم الرئيس: «تلك الوحدة الصوتية التي تكون جزءًا من أصغر صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق، أو هو ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسيًّا من بنية الكلمة المفردة، وذلك كالباء والتاء... إلخ بوصفها وحدات صوتية لا أمثلة نطقيَّة فعليَّة، وكذلك الفتحة والكسرة والضمة أيضًا»(٢).

مما سبق يتبين لنا أن كلَّ وحدة صوتية تحلُّ محلَّ غيرها تؤدي إلى اختلاف المعنى، وتلك الوحدات: (الباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء...)، وكذلك الصوائت القصيرة؛ فإذا حلَّ صائت مكان آخر تغير المعنى.

فكلمة «حلم» و «علم» تغير الصامت الأول فتغير المعنى.

وعندما نقول: جاء الطالبُ، رأيت الطالبَ، فالصائت القصير (الضمة) في المثال الأول صفة تدل على الفاعلية، ثم تغيرت ــ في المثال الثاني ــ الضمة إلى فتحة للدلالة على المفعولية.

تطبيق الفونيمات التركيبية على النصِّ السابق من وصية عمرو بن كلثوم:

ــ الوحدات الصوتية وإيحاءاتها النفسية:

عندما ننظر إلى الوحدات الصوتية في النصِّ السّابق من الوصية نجد أن تلك الوحدات تناسب الجوَّ النفسيَّ الكامن داخل عمرو بن كلثوم، نذكر منها:

(١) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ص٤٩٠، ٤٩١ بتصرف، ط: دار غريب ٢٠٠٠م.
(٢) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ص٤٩٦.

●كلمة «العمر» والتي تتكون من وحدات صوتية [ع م ر].

(أ) المخارج والصفات الصوتية للوحدات [ع م ر]:

ـــ **العين:** صوت حلقيّ، مجهور، متوسط، أو مائع، مستفل، منفتح، مصمت، وقد عدَّه أستاذنا الدكتور عبد العزيز علام صوتًا ر خوًا[١].

ـــ **الميم:** صوت شفوي، مجهور، متوسط، مستفل، منفتح، ذلقيّ، أنفي، أغن[٢].

ـــ **الراء:** صوت لثوي، مجهور، متوسط، مستفل، منفتح، ذلق، مكرر[٣].

(ب) الإيحاءات النفسيَّة للوحدات السابقة [ع م ر]:

عند النظر إلى الوحدات السابقة نجد أنها تناسب الجو النفسي لعمرو؛ لأنه أراد أن يعلم أولاده أن الإنسان في بداية عمره تكون خبرته الحياتية ضعيفة، ولا تأتي هذه الخبرة ولا تكتمل إلا بعد عمر طويل، وعراك مع الحياة، وهذا يتناسب مع صفات الضعف التي وجدت في الوحدات الصوتية السابقة، وإتيان صوت الميم الشفوي الأنفي؛ للدلالة على أن عمرًا أراد أن يوحي إلى أولاده بالإنصات أثناء عرض الوصية عليهم، وهذا أدب جمٌّ في الحوار والحديث، وقبول الوصية دون أنفة أو كبرياء.

وجاء صوت الراء الذى من صفاته التكرير؛ للدلالة على أن الوصية تحتاج إلى إعادة وتكرار المرة تلو الأخرى؛ حتى ترسخ في أذهان السامعين، وتؤدي الغرض من مغزاها.

---

(١) ينظر: التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ص٦٩، ط: دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، وينظر: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د. عبد العزيز علام ص١٥٦، ط: أولى ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، اللغة العربية وأصواتها د. محمد متولى منصور، د. مصطفى إسماعيل ص١٩٠، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.

(٢) ينظر: دراسات في التجويد والأصوات اللغوية د. عبد الحميد أبو سكين ص١٢٧، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧م، التجويد والأصوات د. نجا ص٥١، عن علم التجويد القرآني د. عبد العزيز علام ص١٥٥.

(٣) ينظر: دراسات في التجويد والأصوات د. نجا ص٦٠، دراسات في التجويد والأصوات د. عبد الحميد أبو سكين ص١٠٩.

●كذلك من الوحدات الصوتية في النص السابق من الوصية والتي تناسب الجوَّ النفسيَّ لعمرو وحدات (ب ل غ) في «بلغت»، «يبلغ».

(أ) المخارج والصفات الصوتية للوحدات [ب ل غ]:

ــ **الباء:** صوت شفوي، شديد، مجهور، مستفل، منفتح، ذلق، مقلقل(١).

ــ **اللام:** صوت لثوي، أسناني، مجهور، متوسط، مستفل، منفتح ، ذلق، منحرف، جانبي(٢).

ــ **الغين:** صوت حلقي، مجهور، رخو، مستعل، مصمت(٣).

(ب) الإيحاءات النفسية للوحدات السابقة [ب ل غ]:

عند النظر في الوحدات الصوتية السابقة، ومطالعة مخارجها وصفاتها نجد أنها تناسب الجوّ النفسيَّ لعمرو، فصفة «الجهر» التي جاءت في الوحدات السابقة تبين الشدائد التي يتعرض لها الإنسان طوال عمره الطويل، والتي تؤدي في النهاية إلى خبرات حياتية كثيرة أكسبته إيَّاها تلك الشدائد، وهذا واضح جليّ في شخصية عمرو.

وصفة «القلقلة» الموجودة في الباء تشير إلى الاضطرابات التي تعرض لها عمرو خلال عمره الطويل، ولكنه سرعان ما انتهى منها بسبب خبرته ودربته في الحياة، فأرد أن ينقل ذلك لأولاده؛ حتى يأخذوا العبرة والموعظة.

وجاءت صفة «الانحراف» الموجودة في اللام ــ حيث يوصف صوت اللام بأنه منحرف جانبي ــ؛ للإيحاء بأن حياة عمرو كان فيها بعض الانحرافات عن الجادة، ومجانبة الصواب، فأراد أن يعلم ذلك أبناءه؛ حتى يكونوا بمنأى عن تلك الانحرافات، ويلتزموا الصواب دائمًا قدر الإمكان.

---

(١) ينظر: علم التجويد و الأصوات د. نجا ص٥٠.

(٢) ينظر: علم الصوتيات د. عبد الله ربيع، د. عبد العزيز علام ص٦٩، دراسات فى التجويد والأصوات اللغوية د. أبو سكين ص١٠٧.

(٣) ينظر: دراسات في التجويد والأصوات اللغوية د. عبد الحميد أبو سكين ص٩٦، التجويد والأصوات د. نجا ص٦٨.

وببعض النظر في الإيحاءات النفسية للوحدات الصوتية في النص السابق من الوصية تبين لنا أن تلك الوحدات الصوتية بمخارجها، وصفاتها تناسب الجو النفسي لدى عمرو، وتوحي تلك الوحدات بالمفاهيم التي أراد عمرو أن يعلمها أولاده، وقد ذكرنا نماذج من تلك الوحدات الصوتية.

٢ــ المقاطع الصوتية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية:

عُرِّف المقطع الصوتي بعدة تعريفات وتصورات مختلفة، نذكر منها:

ــ أنه «ضغطة صدرية أو دفعة هوائية تتحكم فيها أعضاء النطق عند انتاج أصوات».

ــ وعُرِّف أيضًا بأنه: «عبارة عن وحدة تركيبية، أو بنائية تعبر بصورة اقتصادية عن نوع من اقترانات الأصوات الصامتة والحركات في داخل لغة معينة»(١).

أقسام المقطع الصوتي(٢):

ينقسم المقطع الصوتي من ناحية (الكمّ) إلى ثلاثة أنواع:

١ــ **قصير:** «قَ» ص ح.

٢ــ **متوسط:** «قا» ص ح ح، «كُنْ» ص ح ص.

٣ــ **طويل:** «صام» ص ح ح ص، «عِلْم» ص ح ص ص، «ضالّْ» ص ح ح ص ص.

وينقسم من ناحية (الفتح والغلق) إلى:

١ــ مقاطع مغلقة: وهي التي تنتهي بصوت صامت، مثل: «علم» ص ح ص ص.

٢ــ مقاطع مفتوحة: وهي التي تنتهي بصوت صائت أي حركة، مثل: «قَ» ص ح، «قا» ص ح ح.

(١) ينظر: علم الصوتيات د. عبد الله ربيع، د. عبد العزيز علام ص١٧٢، ١٧٣.
(٢) ينظر: السابق ص١٧٤، ١٧٥ بتصرف.

- وعند النظر إلى التحليل المقطعي للنص السابق من الوصية نجد كثرة المقاطع المغلقة مثل:

«**قَدْ**»: ص ح ص.

«**مَنْ**»: ص ح ص.

«**لَـــمْ**»: ص ح ص.

«**يبلغ**» «يَبْـــــ» ص ح ص، «ـــلُغ» ص ح ص.

«بِهْ»: ص ح ص في حالة الوقف.

- وجاءت كلمة «بَنِيٌّ» مختتمة بمقطع طويل شديد الإغلاق ص ح + ص ح ص ص، وذلك في حالة الوقف.
- أما عن الإيحاءات النفسية الناتجة عن المقاطع المغلقة، وكذلك المقطع الطويل شديد الإغلاق في «بَنِيٌّ» في حالة الوقف فتتمثل فيما يلي:

١ــ العمر الطويل الذي عاشه عمرو والذي نتج عنه خبرات حياتية كثيرة مكتسبة من عراك الحياة.

٢ــ الإشارة إلى نفسية عمرو المشحونة والمليئة، والمنطوية على خبرات حياتية كثيرة.

٣ــ الفونيمات الثانوية (فوق التركيبية):

الفونيم الثانوي يطلق على كلِّ ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل، ومعناه أن الفونيم الثانوي لا يكون جزءًا من بنية الكلمة، وإنما يظهر ويلاحظ فقط من الكلام المتصل، أي حين تضم كلمة إلى أخرى، أو حين توظف الكلمة المفردة بصورة معينة كأن تستخدم جملة بذاتها، ومن أمثلة الفونيم الثانوي: درجة الصوت، النغمة، النبر، التنغيم (موسيقى الكلام)، قصر الحركات وطولها... إلخ، فالفونيمات الثانوية ليس لها نصيب في تركيب الكلمة أو بنيتها[١].

(١) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ص٤٩٦، ٤٩٧.

تطبيق الفونيمات فوق التركيبية على النص السابق من الوصية:

●من الفونيمات فوق التركيبية الموجودة في النص السابق من الوصية (التنغيم).

والتنغيم هو: «المصطلح الصوتي الدالُّ على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) ودرجة الجهر في الكلام»[١]، إذًا التنغيم هو علوّ الصوت وانخفاضه أثناء الكلام.

وللتنغيم **أشكال ووظائف** عديدة: فهناك تنغيم صاعد، وتنغيم هابط، وتنغيم صاعد هابط، وتنغيم هابط صاعد، وتنغيم مستوٍ.

وتأتي أهمية التنغيم من خلال **الوظائف العديدة** التي يقوم بتأديتها، ومن هذه الوظائف: التفريق بين المعاني، التفريق بين أنواع الجمل وبيان وظائفها، الدلالة على ما يجيش في نفس المتكلم من فرح، أو غضب، أو دهشة، أو تأمل[٢].

●وعند النظر إلى النصِّ السابق من الوصية نجد التنغيم الصاعد فى النداء فى قوله: "يا بَنِيَّ"؛ ليتناسب مع الموقف حتى ولو كان المنادى قريبًا؛ لأن عمْرًا لم يُرِد وصية أولاده فحسب؛ وإنما أراد أن يوصي جميع الأبناء فى أشخاص أبنائه، فناسب ذلك النداء الذي يدلُّ على سعة المدى.

وبين النداء «يا بَنِيّ» ومنطوقه «إنِّي قد بلغتُ من العُمْرِ» ازدواج نغمة من صاعد لهابط؛ ليتناسب مع سمات الوصية التي تقتضي التنوُّع في الأداء.

فجاء النداء «يا بَنِيّ» بنغمة صاعدة دليلًا على عدم تمام الكلام، ثم منطوق النداء «إني قد بلغت من العمر» بنغمة هابطة دليلًا على تمام الكلام وتمام المعنى، "فالتنغيم هنا يؤدي دورًا يشبه دور علامات الترقيم في الكتابة"[٣].

(١) ينظر: علم اللغة د. السعران ص١٩٢، ط: دار النهضة العربية ببيروت ـ لبنان.
(٢) ينظر: علم الصوتيات د. عبد الله ربيع، د. عبد العزيز علام ص١٨٩، ١٩٠، ١٩١ باختصار و تصرف.
(٣) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ص٥٤٢.

فعلامات الترقيم هي الصورة المثلى لتصوير التنغيم والوقفات، وفي قوله: "يا بني، إني قد بلغت من العمر" جاءت الفاصلة بين النداء «يا بني» ومنطوقه «إني قد بلغت العمر»؛ للقيام بنفس الدور الذي يلعبه التنغيم للدلالة على المعنى، فالفاصلة أدَّت وظيفة التنغيم.

والفاصلة الموجودة بين النداء «يا بَنِيّ» ومنطوقه «إنِّي قد بلغت من العمر» دليل على استمرار الكلام واتصاله، وأن النداء لا يتم معناه ولا يكتمل إلَّا بتمام منطوقه، ووجود الفواصل في النص السابق من الوصية دليل على أن المعنى لا يكتمل إلَّا بتمام المنطوق؛ "فالفاصلة دليل استمرارية المنطوق، كما تعني ارتباط هذا الجزء من المنطوق وتعلُّقه بما يكمله"(١).

ثانيًا: الدلالات الصرفية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية:

- جاءت كلمة «مُقْتَبِل» اسم فاعل من «اقتبل» غير الثلاثي؛ للدلالة على الافتعال، والافتعال فيه شدة، وقوة، وعمق تناسب ما أراد أن يوصِّله عمرو لأولاده من عمق خبرته في الحياة التي اكتسبها من طول عمره.

وإذا نظرنا إلى صيغة «افتعل» نجد أنها تدلُّ على المبالغة، والتَّكَلُّف، والاجتهاد، والطلب(٢)، وهذا واضح من خلال نفسية عمرو؛ حيث أراد أن يجتهد في الوصية مع أولاده اجتهادًا كبيرًا؛ حتى يتعلموا من خبراته الكبيرة، ويجاهدوا أنفسهم في العمل بمضمون الوصية، ويكونوا على أهبة الاستعداد للموت.

- وجاء الفعل المضاع في «ينزل»؛ للدلالة على التجدُّد والاستمرار.

---

(١) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ص٥٤٢.

(٢) ينظر: شرح تسهيل الفوائد لمحمّد بن عبد الله بن مالك الطائي ٤٥٥/٣، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، تصريف الأفعال لعبد الحميد عنتر ص١٠٧، ط: دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الخامسة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م، أبنية الأفعال دراسية لغوية قرآنية د. نجاة عبد العظيم الكوفي ص٥٩، ط: دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

فالمضارع يدل على التجدد والاستمرار، أي تجدُّد الحدث واستمراره[١]، والفعل «ينزل» يدلُّ على تجدُّد و استمرار حصد المنايا لأرواح الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

- وجاء المضارع «يبلغ» مجزومًا بأداة النفي «لم»، ولم تتقدم عليه أداة النفي «لن»؛ للإيحاء من عمرو بأن طول عمره لم يبلغه أحدٌ فيما مضى، ولكنه عن علم ما في غدٍ عمي.

فـــ «لم» تقلب معنى الفعل المضارع من الدلالة على الحاضر إلى الماضي، و «لن» تدخل على الفعل المضارع فتخلصه للاستقبال، فتجعله دالًّا على الاستقبال فقط، وتنفيه نفيًا مؤكدًا[٢].

- وجاء فعل الأمر «احفظوا»؛ ليدل بصيغته على الامتثال لما جاء في الوصية، ويدل على أن هذه الأمور ينبغي أن ترسخ في نفسية السامعين.

ثالثًا: الدلالات التركيبية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية:

- الإكثار من استخدام حرف الجر «مِن»؛ ليدل على الاستغراق، كما في: «من آبائي»، «من أمر مقتبل»، فـــ «مِن» مِن معانيها ـــ الذى يتناسب مع النص السابق من الوصية ـــ الاستغراق، والتوكيد[٣].
- استخدام حرف الجر «الباء» الذي من معانيه «الإلصاق»[٤]، فقد استخدم عمرو حرف الجر الباء في: «بِي»، «بِالْآبَاءِ»، «بِهِ»؛ للدلالة على أن الموت ملتصق بالإنسان ويلاحقه طول حياته؛ وللإيحاء بأن الوصية يجب أن تكون ملتصقة بعقل أولاده طول حياتهم، ويعملوا بما تحويه من معانٍ سامية نبيلة.

---

(١) ينظر: معاني النحو لفاضل صالح السامرائي ١٩٥/٤، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بالأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
(٢) المصدر السابق ٣٥٩/٣، ٥/٤.
(٣) ينظر: معاني النحو لفاضل صالح السامرائي ٨١/٣.
(٤) المصدر السابق ١٩/٣.

- وأسلوب النداء في «يا بَنِيَّ، إنِّي قد بلغتُ من العمر» جاء منطوق النداء «إنِّي قد بلغتُ من العمر» مؤكَّدًا بـــ «إنَّ»، وكذلك «قَدْ»؛ للدلالة على ما تحويه نفسية عمرو من خبرات عميقة ناتجة عن العمر الطويل الذي لم يبلغه أحد من أجداده؛ مما يدل على أن خبرته فاقت الآباء والأجداد.
- وجاءت جملة «ولا بُدَّ مِن أَمْرٍ مُقْتَبِل» بالتنوين والتنكير في «أمر»، «مقتبل»؛ لتعظيم وتهويل هذا الأمر وهو الموت الذي يأتي فجأة؛ مما يدل على نفسية عمرو المستعدة لنزول الموت في أي لحظة؛ مما جعله حريصًا على وصية أولاده.
- والجملة الإنشائية الطلبية المتمثلة في «احْفَظُوا عَنِّي ما أُوْصِيْكُم به» جاء المفعول به وهو «ما» من الموصولات العامة؛ للإيحاء بقبول الوصية والحرص على كلَّ ما فيها دون ترك شيء منها؛ لأنها ناتجة عن خبرات طويلة وعراك مع الحياة، وتدلُّ «ما» أيضًا على أن الوصية جامعة.

وبعد معايشة النص السابق من الوصية نجد اكتمال الدلالات الصوتية، والصرفية، والتركيبية وتعانقها؛ لتناسب الفكرة الأولى من الوصية، وهي الخبرات الحياتية العميقة الناتجة عن العمر الطويل الذى عاشه عمرو؛ مما يدل على نفسية عمرو الحكيمة صاحبة الخبرات العميقة الناتجة عن العمر الطويل.

المبحث الثاني

الجزاء من جنس العمل

وذلك من خلال حديث عمرو عن معايرة الناس، وسبِّهم، وشتمهم، وما يلاقيه المرء من جريرة ذلك.

يقول عمرو: "إِنّي واللهِ ما عَيَّرْتُ رَجلًا قَطُّ أَمْرًا إِلاَّ عُيِّرَ بِي مِثْلَهُ إِنْ حَقًّا فَحَقًّا، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا، وَمَن سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّوا عن الشَّتْمِ؛ فإنَّه أَسْلَمُ لأَعْرَاضِكُم"(١).

أولًا: الدلالات الصوتية وإيحاءاتها النفسية:

(أ) الفونيمات التركيبية:

عند النظر إلى النصّ السابق نجد:

- كلمة «قَطُّ» فلِشِدَّة حقيقة قضية الجزاء من جنس العمل استعمل عمرو معها في تأكيدها هذا اللفظ «قَطُّ» المكَّون من الصوتين الشديدين: القاف، والطاء.

فالقاف صوت مجهور عند الأقدمين، مهموس عند المحدثين، شديد، مستعلٍ، منفتح، مصمت، مقلقل(٢).

والطاء صوت مهموس عند المحدثين، مجهور عند الأقدمين، وهو شديد أو انفجاري، مستعلٍ، مطبق، مصمت، مقلقل(٣).

وزاد الطاءَ شدَّةً تكرارُها بالتشديد.

(١) ينظر: جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام لأحمد زكي صفوت ١٢١/١.
(٢) ينظر: التجويد والأصوات د. نجا ص٦٥.
(٣) المصدر السابق ص٥٤.

- «فكفُّوا» بهذا التركيب الصوتي الذي فيه شدة، والشِّدة تتمثل في اجتماع الكاف، والفاء المضعَّفة، والصائت الطويل «فُوا» ص ح ح.

وذلك للإيحاء من عمرو لأولاده بتأكيد أن الجزاء من جنس العمل، وهو ما تحويه نفسه بسبب خبراته في الحياة، وأن الجزاء من جنس العمل حقيقة يجب الإيمان بها، والعمل بمقتضاها.

- وجاء صوت القاف في «حَقًّا» بما تحويه من شدة؛ لتأكيد المعنى، وهو عدم معايرة الناس؛ مما يدل على حرص عمرو على وصية أولاده بألَّا يُعيِّروا أحدًا سواء أكانت المعايرة بالحق أم بالباطل؛ حتى لا يُعرِّضوا أنفسهم لمعايرة الناس، فكلمة «حَقًّا» تدلُّ على إحكام الشيء وصحته(١).
- وجاء صوت الشين الذي يدلُّ على التفشِّي(٢) في كلمة «الشتم»؛ للإيحاء من عمرو بألَّا تنتشر هذه الصفة الذميمة بين الناس.
- واستخدام عمرو في النص السابق للأصوات الشديدة؛ لحرصه على أولاده بالبعد عن هذه الصفات الذميمة التي تعرِّضهم لنيل الناس منهم.
- وجاءت المقاطع المفتوحة والمغلقة في النص السابق من الوصية؛ للتأكيد على حقيقة (الجزاء من جنس العمل)، وأنها حقيقة يجب الإيمان بها، والعمل بمقتضاها، ومن هذه المقاطع:

عَنْ: ص ح ص فى حالة الوقف.

سَبَّ: ص ح ص – ص ح.

سُبَّ: ص ح ص – ص ح.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس م [ح ق ق].
(٢) دراسات في التجويد والأصوات اللغوية د. أبو سكين ص٦٥.

(ب) الفونيمات فوق التركيبية:

وتتمثل الفونيمات فوق التركيبية فى النصِّ السابق في النغمة المزدوجة في الجمل الشرطية بين جزأي (الشرط والجواب) في «إِنْ باطِلًا فباطِلًا»، و «إِنْ حقًّا فحقًا».

فجاء الشرط بنغمة صاعدة، ثم جاء الجواب بنغمة هابطة؛ للدلالة على تمام الكلام، وتمام المعنى.

والجملة الشرطية تنتهي بنغمة صاعدة في الجزء الأول (وهو الشرط)، وهذا دليل على عدم تمام الكلام، وتمام الكلام يحصل بالجزء الثاني (وهو الجواب) الذي ينتهي بنغمة هابطة دليلًا على إتمام المعنى واكتماله(١).

وجاءت جملة الشرط في «إِنْ حقًّا فحقًا»، و «إِنْ باطِلًا فباطِلًا» خالية من الفاصلة بين (الشرط والجواب)؛ حيث جاءت الفاء لتقوم بالدور الذي تقوم به الفاصلة.

فكأن القاء هنا قامت مقام الفاصلة للدلالة على تعلق الشرط بالجواب، والجواب جاء متمِّمًا لمعنى الشرط(٢).

إذًا الفاء المتصلة بجواب الشرط تقوم بدور الفاصلة بين الجملتين، والفاء والفاصلة تلعبان الدور الذي يقوم به التنغيم، فهما صورتان لتصوير التنغيم.

فالتنغيم في الجمل الشرطية فى النصّ السَّابق يؤكد ما تحويه نفسية عمرو بعدم معايرة الناس سواء أكانت المعايرة حقًّا أم باطلًا.

(١) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ص٥٤٣.
(٢) ينظر: علم الأصوات د. كمال بشر ص٥٤٣.

ثانيًا: الدلالات الصرفية وإيحاءاتها النفسية في النصِّ السَّابق من الوصية:

- جاء أفعل التفصيل في «فإنَّه أَسْلَمُ لأَعْرَاضِكم»: حيث جاءت كلمة «أَسْلَم» على وزن (أَفْعَل)؛ لتُحبِّب إلى النفس القصد في القول في العمل، وهذا يساير الفكرة التي يتوخاها الكاتب في وصيته؛ حيث إن الجزاء من جنس العمل يتطلب الاعتدال في القول والعمل.

"فاسم التفضيل يدل على تجاوز صاحبه وتباعده عن الغير، ولبيان الكمال والزيادة في وصفه الخاص"(١).

وهذا المعنى المقصود من كلمة «أَسْلَم» الدالة على التفضيل يساير ما تنطوي عليه نفسية عمرو من إيحاءات لأولاده بضرورة المحافظة على أعراضهم، وعدم إعطاء الفرصة لأحدٍ أن ينال منهم مهما كان.

- «عُيِّر» جاء الفعل الماضي مبنيًّا للمجهول أي بحذف الفاعل، وفيه دلالة على أن الجزاء سيقع دون النظر إلى فاعله.

ثالثًا: الدلالات التركيبية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية:

- عبارة «إِنِّي واللهِ ما عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلاَّ عُيِّرَ بِي مِثْلَهُ» جاءت العبارة السابقة مشتملة على عدة مؤكِّدات:

١ــ تصَدُرُها بإنَّ المكسورة المشددة.

٢ــ ياء المتكلم في «إنِّي».

٣ــ ثم القسم المشتمل على الواو ولفظ الجلالة.

٤ـ ثم الاستثناء الذى طريقه ما، وإلّا.

(١) ينظر: معاني النحو للسامرائي ٣١٢/٤، ٣١٣.

كل هذا يؤكد هذا المبدأ وهو الجزاء من جنس العمل؛ حيث إنه لا يتخلَّف، ولا بُدَّ أن ينال كلُّ إنسانٍ جزاءه، ومن هنا جاءت عبارته «إِنْ حقًّا فحقًا، وإِنْ باطِلًا فباطِلًا» مؤكدة لما يترسخ في نفسية عمرو.

وهذا مبدأ ديني أشار إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [القصص:٨٤] .

- وجاء المفعول به في جملة «ما عَيَّرْتُ رَجَلًا...» نكرة منونة؛ للدلالة على العموم.
- وجاءت جملة الشرط «إِنْ حقًّا فحقًا، وإِنْ باطِلًا فباطِلًا»؛ للدلالة على ما تنطوي عليه نفسية عمرو من أن أولاده يُنْكِرون ما يقول، أو يشُكُّون فى الجزاء؛ لمنعتهم وقوتهم إذا عيروا الناس بأنهم سيعيرونهم(١).

ولذلك استخدم «إِنْ»؛ لأنه يعلم أن أولاده يشُكُّون في معايرة الناس لهم؛ وذلك لما هم فيه من قوة ومنعة.

- وجاء أسلوب الشرط «ومن سَبَّ سُبَّ»؛ للدلالة على تأكيد الفكرة وترسيخها في أذهان أولاده.

فـ «مَنْ» تدل على التهديد لهم؛ حتى يبتعدوا عن سبِّ الناس، وحذف مفعول «سَبَّ»؛ للدلالة على العموم، أي إذا وقع منهم السبُّ لأي إنسان مهما كان وضعه ترتب عليه المساس بأعراضهم والنيل منهم، وحثَّهم على ذلك بذكر كلمة «أعراضكم»؛ لأن المحافظة على الأعراض من الشيم الكريمة، والأخلاق النبيلة الرفيعة التي يتمسك بها أي إنسان.

(١) تاريخ الأدب الجاهلي د. حنفي محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٧٧.

- «ومن سَبَّ سُبَّ» مبدأ ديني أشار إليه الرسول γ فى حديثه: « المُتَسَابَّانِ ما قالا فعلى البادئ ما لم يعْتَدِ المظلوم»(١)، وقوله ﷺ : «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسُبُّ أبا الرجل فيَسُبُّ أباه، ويَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»(٢).

وبعد معايشة النص السابق من الوصية وجدنا اكتمال الدلالات الصوتية، والصرفية، والنحوية وتعانقها؛ للدلالة على ما تحويه نفسية عمرو، وما يريد أن يوصله لأولاده؛ حيث أراد أن يعلمهم علم اليقين بحقيقة مسلمة لا تقبل النقاش ولا تقبل الجدال، ألا وهى: (الجزاء من جنس العمل).

ثم جاء بالكلمات والألفاظ التي تؤكِّد على ترسيخ هذه الحقيقة لدى أولاده.

وهذا يدلُّ على أن شخصية عمرو تأدَّبت بآداب الإسلام قبل أن تعرف هذه الآداب.

(١) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصدقة والآداب، باب النهي عن السِّباب ٤٤٨/٥، ط: دار الشعب.

(٢) ينظر: رياض الصالحين للإمام النووي، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد ص٩٩، ط: دار المنار.

المبحث الثالث

علاقات أسرية ونصائح أبوية

من خلال حديث عمرو عن صلة الأرحام، وإكرام الجار، والزواج، وغضّ البصر، والغيرة، وانتهاك الحُرُمات، والتَّنازُع في الدِّماء، وكيفية الحديث مع الناس.

يقول عمرو: "وَصِلُوا أرحامَكُم تَعْمُرْ دَارُكُم، وَأَكْرِمُوا جارَكُم يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُم، وَزَوِّجُوا بناتِ العِمِّ بَنِي العَمِّ؛ فإنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَّ إلى الغُرَبَاءِ فلا تَأْلُوا بِهِنَّ الأَكْفَاءَ، وأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّساءِ مِن بُيوتِ الرِّجالِ؛ فإنَّه أَغَضُّ للبَصَرِ وأَعَفُّ للذِّكر، ومتى كانتِ المُعَايَنَةُ واللِّقاءُ ففي ذلك دَاءٌ مِن الأَدْواءِ، ولا خَيْرَ فيمن لا يَغَارُ لِغَيْرِه كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِه، وقَلَّ مَنِ انْتَهَكَ حُرْمَةً لِغَيْرِهِ إلاَّ انْتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ.

وامْنَعُوا القَرِيبَ مِن ظُلْمِ الغَرِيبِ؛ فإنَّك تُذِلُّ على قَرِيبِكَ، ولا يَحُلَّ بِكَ ذُلُّ غَرِيبِكَ، وإذا تَنَازَعْتُم في الدِّماءِ فلا يكن حَقُّكم لِلِّقَاءِ؛ فرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِن أَلْفٍ، وَوُدٍّ خيرٌ مِن خُلْفٍ، وإذا حُدِّثْتُم فَعُوا، وإذا حَدَّثْتُم فَأَوْجِزُوا؛ فإنَّ مع الإكْثارِ يكونُ الإهْذَارُ، وموتٌ عاجِلٌ خيرٌ مِن ضَنًى آجِلٍ، وما بكيتُ مِن زَمَانٍ إلاَّ دَهَانِي بعدَه زَمَانٌ، وربما شَجَانِي مَن لم يكنْ أَمْرُهُ عَنانِي، وما عَجِبْتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إلَّا رَأَيْتُ بعدَها أُعْجُوبَةً"(١).

أولًا: الدلالات الصوتية وإيحاءاتها النفسية عند عمرو في النص السابق:

(أ) الفونيمات التركيبية:

- «زَوِّجُوا» مجيء الفعل بالتضعيف في الواو يدلُّ على الشدة في الفعل.

وعند النظر إلى الوحدات الصوتية [ز و ج] نجد أن:

(١) ينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الاسلام لأحمد زكي صفوت ١٢١/١، تاريخ الأدب الجاهلي د. حنفي محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٧٣، ٢٧٤.

الزاي: صوت مجهور، رخو، مستفل، منفتح، مصمت، صفيري.

والواو: صوت رخو، مجهور، مستفل، مصمت.

والجيم: صوت مجهور، شديد، مستفل، منفتح، مصمت، خفي، مقلقل(١).

والصفات الصوتية السابقة للوحدات [ز و ج] تناسب الفكرة التي يوصي بها عمرو لأولاده فى أمر الزواج.

فجاء صوت الزاي الذي يحمل صفة الصفير؛ لأنه ينادي عليهم بأن عليهم أن يسمعوا صوته وأن يصغوا إليه، حيث أراد أن يعلمهم بضرورة زواج بنات العم من أبناء العم ــ وهذا مبدأ كان سائدًا فى القبائل العربية ـــ ولا يبتعدوا بهن إلى الغرباء، فإن حدث ذلك فلا يزوجهن إلَّا الأكفاء.

وأكَّد هذه الفكرة بصوت الواو بما يحمله من قوة، بالإضافة إلى مجيئه مضعَّفًا، علاوة على صوت الجيم الذي ــ أيضًا ــ يحمل كثيرًا من صفات القوة التي تناسب مدلول كلمة «زَوِّجُوا».

وجاء التعمير بـــ «زَوِّجُوا» دون «أنْكِحُوا»؛ للدلالة على ما تحويه نفسية عمرو من ضرورة إقامة علاقات أسرية وطيدة ناشئة عن التزاوج بين أفراد أبنائه وبني عمومتهم. فمادة (ز و ج) يدور معناها فى المعاجم اللغوية حول الاقتران، ومقارنة الشيء للشيء(٢).

- وتنوُّع المقاطع الصوتية فى كلمات النص السابق يوافق تمامًا تنوُّع الصفات النبيلة الحميدة التي أرساها عمرو في النصّ السابق، وأراد من أولاده أن يعملوا بها، ويعضوا عليها بالنواجذ.

(١) ينظر: التجويد والأصوات د. نجا ص٦٢، ٦٤، دراسات في التجويد والأصوات د. عبد الحميد أبو سكين ص١٢٨، عن علم التجويد القرآني د. عبد العزيز علام ص١٥٥.
(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور م (ز و ج)، ومقاييس اللغة لابن فارس م (ز و ج).

ومن هذه الكلمات:

صِلُوا ← ص ح – ص ح ح.

أرحامكم ← ص ح ص ــ ص ح ص.

تَعْمُر ← ص ح ص ــ ص ح ص.

دَارُكُم ← ص ح ح ــ ص ح ــ ص ح ص.

أَكْرِمُوا ← ص ح ص ــ ص ح ــ ص ح ح.

إلى غير ذلك من الكلمات التي تحتوي على مقاطع صوتية متنوعة؛ لتتناسب تمامًا مع ما تحويه نفسية عمرو من صفات نبيلة يريد من أولاده أن يأخذوا بها.

(ب) الفونيمات فوق التركيبية:

• الازدواج النغمي بين الأمر وجوابه «صِلُوا أرحامَكم تَعْمُرْ دِارُكم»، و «أَكْرِمُوا جارَكم يَحْسُنْ ثَنَاؤُكم».

يبدأ بنغمة صاعدة ثم ينتقل إلى نغمة هابطة، وهذا التنوع النغمي يتناسب مع النصائح الأبوية المتنوعة الناجمة عن الخبرة الحياتية.

• الإيقاع الناشئ عن تكرار الضمير المتصل بحرف الجر «بهنَّ» في قوله: "فإِنْ تَعَدَّيْتَم بِهنَّ إلى الغُرَباءِ فلا تَأْلُوا بِهنَّ الأَكْفَاءَ" يدلُّ على شدة العناية بالمرأة وبأمر زواجها، وهذا متفق مع المبدأ الديني الذي اشترطه الفقهاء المتمثل في الكفاءة في الزواج.

• الإيقاع الناشئ عن السجع في «صِلُوا أرحامَكم تَعْمُرْ دِارُكم»، و «أَكْرِمُوا جارَكم يَحْسُنْ ثَنَاؤُكم»، والهدف منه أن تأخذ الوصية من نفس المتلقي مأخذها من

القبول؛ فإن الإيقاع الصوتي الناشئ عن السجع يضفي على الكلام جمالًا يقربه من نفس المتلقي.

• التنوع النغمي بين الشرط وجوابه في «وإذا تَنَازَعْتُم في الدِّماءِ فلا يكن حَقُّكم لِلِّقَاءِ»، و «إذا حُدِّثْتُم فَعُوا»، و «إذا حَدَّثْتُم فَأَوْجِزُوا»، فجاء الشرط بنغمة صاعدة، ثم جاء الجواب بنغمة هابطة، وهذا يساير الغرض العام للفكرة؛ حيث إن حديث الآباء مع الأبناء لا يسير على وتيرة واحدة، فلابد من تنوع النغمات؛ ليقع الكلام موقعه من نفس المتلقي.

• الإيقاع الناشئ عن تكرار كلمة زمان في «وما بكيتُ مِن زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بعدَه زَمَانٌ» يدل على تغير الزمان بالنسبة للمتحدث من سيء إلى أسوء، وهذا يدل على أبوة صادقة؛ حيث يطلب عمرو من أبنائه أن يأخذوا حذرهم من زمانهم، ويعملوا له حسابه.

• والإيقاع الناشئ عن السجع في «أُحْدُوثَة»، و «أُعْجُوبَةً»؛ حيث يوجه أبناءه إلى الرضا بمعطيات الأحداث، وعدم البحث غير المفيد عن الأسباب.

ثانيًا: الدلالات الصرفية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية.

• استخدم عمرو أفعل التفصيل «أَغَضّ»، «أَعَفّ» في «فإِنَّه أَغَضُّ للبصرِ وأَعَفُّ للذَّكر»، وهذا التفضيل يدلُّ على نصيحة أبوية صادقة ناجمة عن خبرة حياتية؛ إذ المفضل لا يسوغ له هذا التفضيل إلَّا عن الخبرة التي اكتسبها من عراك الحياة.

• دلالة صيغة البناء للمجهول في قوله: "إذا حُدِّثْتُم فَعُوا" على وجوب العناية بكلام المتكلم دون النظر إلى من هو المتحدث، وهذا أدب سامٍ يدل على أبوة صادقة.

ثالثًا: الدلالات التركيبية وإيحاءاتها النفسية في النصِّ السّابق من الوصية:

- التناوب بين حروف الجر في «وأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّساءِ مِن بُيوتِ الرَّجالِ»؛ حيث عُدِّي الفعل بـــ «مِنْ» دون «عَنْ»؛ للدلالة على شدة الفصل بين بيوت النساء والرجال؛ طلبًا للعفة، وتحقيقًا للطهارة.

وقد يكون حرف الجر «مِنْ» باقيًا على معناه، ويكون التغيير في معنى الفعل «أَبْعِدُوا» عن طريق تضمينه معنى «أَخْرِجُوا».

وقد أشار النحاة إلى أن «مِنْ» قد تقع موقع «عَنْ» للدلالة على المجاوزة، والابتعاد(١).

ثم يأتي المجاز فى هذا التركيب «وأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّساءِ مِن بُيوتِ الرَّجالِ»، وعلاقته المحلية؛ حيث أطلق المحل وأراد الحال، واستخدم عمرو هذا المجاز لتصل فكرته إلى أبنائه، ويكون لها وقعها في نفوسهم؛ حيث إن الشيء بعد إعمال الفكر يكون أثبت من صدوره مباشرة، وهذا يصور خبرته في الحياة.

- التضمين في «اصنعوا الغريب من ظلم الغريب»، حيث ضُمَّن «امنعوا» معنى «احفظوا»، وهذا يدلُّ على شدة الحرص على أبنائه.
- «فإنَّك تُذِلُّ على قَرِيبِكَ، ولا يَحُلَّ بِكَ ذُلُّ غَرِيْبِكَ» في هذا التركيب استخدم «الذُّلّ» بمعنيين:

ففي الجزء الأول استُخْدِم بمعنى اللين، وخفض الجناح.

أما في الجزء الثاني فاستخدم بمعناه الحقيقي بمعنى القهر، والغلبة، وهذا يصور نفسية عمرو الحريصة على أبنائه.

(١) ينظر: معاني النحو للسامرائي ٥٣/٣، ٥٤.

فمادة [ذ ل ل] تدور حول معنى اللين، وخفض الجناح، والرحمة، والرفق، والقهر، والغلبة(١).

قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[الإسراء:٢٤]، وقال عزَّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة:٥٤].

- أساليب الشرط فى النص السابق «فإِنْ تَعَدَّيْتُم بِهنَّ إلى الغُرَباءِ»، «وإذا تَنَازَعْتُم في الدِّماءِ فلا يكن حَقُّكم لِلِّقَاءِ»، «وإذا حُدِّثْتُم فَعُوا، وإذا حَدَّثْتُم فَأَوْجِزُوا» جاءت مناسِبة للنصائح الأبوية التي تعتمد على تحقق الجواب المبني على حدوث الشرط.

واستخدم عمرو «إِنْ» الشرطية في «فإِنْ تَعَدَّيْتُم بِهنَّ»؛ للدلالة على أن الزواج من الغرباء أمر مشكوك فيه ونادر الوقوع.

واستخدم «إذا» في «وإذا حُدِّثْتُم فَعُوا، وإذا حَدَّثْتُم فَأَوْجِزُوا»؛ لأن حديث الناس لهم ومحادثتهم للناس أمرٌ محقَّق ومتوقَّع لا جدال ولا نقاش فيه، وهو أمرٌ يقيني(٢).

وبعد معايشة النصِّ السَّابق من الوصية تبين للباحث تكامل الدلالات الصوتية، والصرفية، والتركيبية؛ للكشف عن الدلالات النفسية التي تنطوي عليها نفسية عمرو؛ ممَّا يدلُّ على الأبوَّة الصادقة التي نتج عنها تلك النصائح التي جاءت موافقة لتعاليم الدين الإسلامي، وهذا يدلُّ على شخصية سويَّة تأدَّبت بآداب الإسلام قبل أن تعرف الإسلام وآدابه.

ومن الآداب التي اشتمل عليها النصُّ السابق من الوصية:

١ــ صلة الأرحام.

٢ــ إكرام الجار.

(١) ينظر: لسان العرب م [ذ ل ل].

(٢) تاريخ الأدب الجاهلي د. حنفي محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٧٧، ٢٧٨، قطاع اللغة العربية.

٣ــ الكفاءة في الزواج.

٤ــ غضّ البصر.

٥ــ الغيرة وعدم انتهاك الحرمات.

٦ــ التحذير من الظلم.

٧ــ أدب الحوار والحديث مع الآخرين.

المبحث الرابع
أخلاق محمودة

وذلك من خلال حديث عمرو عن الشجاعة، والفروسية، والبطولة، والإقدام.

يقول عمرو: "واعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ"(١).

اولًا: الدلالات الصوتية وإيحاءاتها النفسية عند عمرو:

(أ) الفونيمات التركيبية:

- دلالة لفظ «العطوف»:

كلمة «العطوف» مأخوذة من مادة [ع ط ف]، ويدور معناها حول الرحمة، والشفقة، والميل(٢).

وجاء فى لسان العرب: "رجل عطوف وعِطَاف يحمي المنهزمين"(٣)، وجاء ــ أيضًا ــ فى المعجم الوسيط: "العِطاف: الحسن الخلق، العطوف على الناس بفضله، والذى يحمي المنهزمين"(٤).

والمقصود من كلمة «العطوف» فى النص السابق من الوصية الذي يحمي المنهزمين؛ حيث جعل عمرو الرجل العطوف الذى يحمي المنهزمين أشجع القوم، وصفة الشجاعة صفة أصيلة في عمرو تخلَّق بها، وعُرِف بها بين أقرانه، وصار يضرب به المثل في الشجاعة؛ ومن ثم أشار عمرو إلى أفضلية الموت في ساحة المعركة دفاعًا عن العرض والأرض.

---

(١) ينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الاسلام لأحمد زكي صفوت ١٢١/١، تاريخ الأدب الجاهلي د. حنفي محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٧٤.
(٢) ينظر: م [ع ط ف] في معجم الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط.
(٣) ينظر: لسان العرب م [ع ط ف].
(٤) ينظر: المعجم الوسيط م [ع ط ف].

- وجاءت كلمة «أشجع» مشتملة على صوت الشين الذى من صفاته التفشِّي، أي الانتشار، ويقصد بالانتشار: «تلك الصفة التي يوصف بها صوت الشين عند نطقه؛ لانتشار النَّفَس وتفشّيه»(١).

فدلَّ صوت الشين في «أشجع» على ضرورة انتشار وتفشّي صفة الشجاعة فيمن توجه إليهم الوصية، فصفة الشجاعة سجية عُرِف بها عمرو فأراد أن يوصي لأولاده بضرورة الاتصاف بهذه الصفة النبيلة.

- وجاء المقطع الطويل المغلق في كلمة «عطوف» في حالة الوقف؛ للإيحاء من عمرو لأولاده بوجوب التحلِّي بصفة الشجاعة طول حياتهم ولا يبرحوا عنها.

وتتكون كلمة «عطوف» من مقطعين فى حالة الوقف [ص + ص ح ح ص].

(ب) الفونيمات فوق التركيبية:

- الإيقاع الصوتي الناشئ عن السجع في «العطوف»، «السيوف» يضفي على الكلام رونقًا وبهاءً يقربه من نفس المتلقي؛ مما يجعل الوصية تأخذ من نفس المتلقي مأخذها من القبول.

ثانيًا: الدلالات الصرفية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية.

- استخدم عمرو أفعل التفضيل «أشجع» في «أشجع القوم العطوف»؛ للدلالة على ما تنطويه نفس عمرو من الحرص الشديد على وصية أولاده، وحملهم على أن يتحلوا بصفة الشجاعة.

- جاءت كلمة «عطوف» على وزن «فَعُول»، وهي صفة مشبهة، والصفة المشبهة تحمل في طياتها معنى الثبوت، أي: الاستمرار، واللزوم(١).

(١) ينظر: دراسات في التجويد والأصوات د. أبو سكين ص٦٥.

فأراد عمرو أن يوصي لأولاده بضرورة الثبوت والاستمرار في حماية المنهزمين، والدفاع عنهم.

وهذا هو المراد من كلمة «عطوف» في النص السابق من الوصية.

و «عَطُوف» ــ أيضًا ــ صيغة من صيغ المبالغة على وزن «فَعُول» الدالَّة على الكثرة دلالة على كثرة حماية المنهزمين.

ثالثًا: الدلالات التركيبية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية:

- عندما ننظر إلى تركيب «أَنَّ أشجع القوم العطوف» نجده تركيبًا خبريًا صُدِّر بـــ «أنَّ» المسبوقة بفعل الأمر «اعلموا».

فتركيب «اعلموا أن أشجع القوم العطوف» اشتمل على عدة مؤكدات، وهي:

١ــ «أنَّ» المشددة.

٢ــ أفعل التفضيل «أشجع».

٣ــ الصفة المشبهة «العطوف».

كل هذه المؤكِّدات تضافرت وتكاتفت للإيحاء بما تحويه نفسية عمرو من حب الشجاعة، والفروسية، فأراد عمرو أن يعلم أولاده ويخبرهم بأن العطوف الذى يفني نفسه في حماية المنهزمين هو أشجع الناس، وحبَّب إليهم الموت تحت ظلال السيوف دفاعًا عن المال، والأهل، والعرض، والوطن، فالموت تحت ظلال السيوف دفاعًا عن الأهل والوطن شرف ما بعده شرف.

وبعد تحليلنا للنص السابق من الوصية وجدنا تكامل الدلالات الصوتية، والصرفية، والتركيبية؛ للكشف عن نفسية عمرو، فعمرو صاحب شخصية قوية محبَّة للشجاعة والفروسية.

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية لفاضل صالح السامرائي ص٦٥، ط: دار عمار، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

فعمرو أكَّد في النص السابق على أن العطوف هو أشجع الناس، والموت تحت ظلال السيوف دفاعًا عن الأهل، والوطن شرف عظيم.

ومن ثمَّ كان حريصًا على وصية أولاده، ناصحًا لهم بأن يتصفوا بصفة الشجاعة، والفروسية، موضحًا لهم أن الموت تحت ظلال السيوف شرف كبير لا يناله إلا الأقوياء الشجعان.

وجاءت الألفاظ في النص السابق موحية بما يريد أن يبوح به عمرو لأولاده من ضرورة التحلّي بهذه الصفات النبيلة، والأخلاق المحمودة.

المبحث الخامس

الحذر الحذر

يقول عمرو: "ولا خيرَ فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَب، ولا فيمن إذا عُوتِبَ لم يُعْتِبْ، ومِن النّاسِ مَن لا يُرْجَى خَيْرُه ولا يُخَافُ شَرُّهُ؛ فَبَكْؤُهُ خَيْرٌ مِن دَرِّهِ، وعُقُوقُه خيرٌ مِن بِرِّهِ، ولا تُبَرِّحُوا في حُبِّكُم؛ فإنَّه مَن بَرَّحَ في حُبٍّ آلَ ذلك إلى قَبيحِ بُغْضٍ، وكَم قَدْ زَارَني إنسانٌ وَزُرْتُه فانقلبَ الدَّهرُ بنا فُبُرْتُهُ، واعلموا أنَّ الحَكِيمَ سَلِيمٌ، وأن السَّيْفَ كَلِيمٌ؛ إنّي لم أَمُتْ ولَكِنْ هَرِمْتُ، ودَخَلَتْنِي ذِلَّةٌ فَسَكَتُّ، وَضَعُفَ قَلبي فَأَهْتَرْتُ، سَلَّمَكم ربُّكُمْ وحَيَّاكُم"(١).

أولاً: الدلالات الصوتية وإيحاءاتها النفسية في النص السابق من الوصية:

(أ) الفونيمات التركيبية:

عند تحليلنا للنص السابق من الوصية نجد كثيرًا من الوحدات الصوتية التي تؤكد الفكرة المرادة من هذا النص.

- **من هذه الوحدات:**

(أ) [غ ض ب] المأخوذ منها لفظ «الغضب».

فالغين: حرف مجهور، رخو، مستعل، منفتح، مصمت، **والضاد:** صوت مجهور، شديد، مستعل، مطبق، مصمت، بالإضافة إلى صفة الاستطالة، وهي امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها.

أما **الباء** فصوت شديد، مجهور، مستفل، منفتح، زلق، مقلقل(٢).

(١) ينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الاسلام لأحمد زكي صفوت ١٢١/١، تاريخ الأدب الجاهلي د. حنفي محمود، د. مصطفى أحمد ص٢٧٤.

(٢) ينظر: التجويد والأصوات د. نجا ص٥٠، ٥٨، ٦٨ ، دراسات في التجويد والأصوات د. أبو سكين ص٦٥.

عند النظر في الصفات الصوتية للوحدات السابقة تبين لنا أن صفات القوة والشدة الموجودة فى صوتي [غ ، ض] تناسب الغضب الذى حذَّر منه عمرو أولاده، بالإضافة إلى الاستطالة التي في صوت الضاد توحي بعدم الامتداد في الغضب حتى لا يصل بالإنسان إلى ما لا يحمد عقباه، وهذا يشير إلى مدى حرص عمرو على أن يبتعد أولاده عن هذه الصفة الذميمة.

وصوت الباء ليس بقوة صوتي [غ ، ض] إيحاءً إلى أن قمة الغضب تكون في أوله، ولكن سرعان ما تهدأ موجة الغضب في آخره، قال تعالى: (ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ)[الأعراف:١٥٤]، أي: ولما سكن الغضب الذى أحاط بموسى على أخيه، وقومه، وهدأت نفسه أخذ ألواح التوراة التي كان ألقاها[١].

والتحذير من الغضب ـــــ الذي أشار إليه عمرو ـــــ مبدأ إسلامي حثَّنا عليه الرسول γ.

فعن أبي هريرة η قال: سمعت رسول الله γ يقول: «ليس الشديد بالصرعة»، قالوا: فالشديد أيُّم يا رسول الله؟ قال: «الذى يملك نفسه عند الغضب»[٢].

(ب)[ع ق ق]، وهي الوحدات الصوتية المأخوذ منها كلمة «العقوق» الموجودة في النص.

ومن معاني مادة (ع ق ق): القطع، فالعقوق: القطيعة، ويطلق لفظ «العقوق» على قطيعة الوالدين، وكل ذي رحم محرم[٣].

والفعل «عقَّ» يتكون من صوتين، هما: العين، والقاف.

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ٤/ ٢٤٧٤، ط: دار الرشيد بحلب ـ سوريا.
(٢) ينظر: صحيح مسلم كتاب البر والصدقة والآداب ٤٦٩/٥.
(٣) ينظر: مقاييس اللغة م [ع ق ق].

وجاء صوت القاف صوتاً قويًّا؛ لما فيه من صفات القوة، فالقاف صوت مجهور عند القدماء، مهموس عند المحدثين شديد، مستعلٍ، منفتح، مصمت، مقلقل(١).

وزاد القاف قوةً وشدةً تكرارُها بالتشديد، وهذا يناسب ما تنطوي عليه نفسية عمرو من تحذيره لأولاه من وصل من لا فائدة من وجوده، وأن عقوقه خير من بره، فلا خير يرجى منه، ولا شر يأتي من قِبَلِه، فوجوده كالعدم لا طائل من ورائه.

(ج)ومن هذه الوحدات [ب ر ح] المأخوذ منها كلمة «تبرحوا».

فمن معاني البرح: الإفراط في الكرم، وأبرح فلاناً وأبرحه بمعنى: كرَّمه وعظَّمه(٢).

والمراد هنا الإفراط في الحب، حيث حذر عمرو أولاده من الإفراط في حب الناس؛ لأنه قد ينقلب الحبيب إلى بغيض، ويوحي أيضًا من سياق الكلام الخارجي بأنه يحذرهم من عدم الإفراط في كره أحد؛ لأنه قد ينقلب إلى حبيب.

- وجاءت المقاطع الصوتية المغلقة في النص السابق للدلالة على ما أراده عمرو من تحذير أولاده من صفات معينة.

من هذه الصفات:

ــ **(الغضب)**: حيث أراد عمرو من أولاده أن يمسكوا ألسنتهم ويغلقوها عند الغضب.

ــ وكذلك **(الحب والبغض)**: حيث حذَّرهم من الإفراط في الحب والبغض.

(١) ينظر: عن علم التجويد القرآني فى ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص١٥٧.
(٢) ينظر: م [ب ر ح] في لسان العرب لابن منظور، مقايس اللغة لابن فارس، المعجم الوسيط.

ــ وكذلك **(عقوق من لا فائدة منه)**: فنصحهم بأن ينأوا بأنفسهم عن صنف من الناس لا فائدة من وجوده.

ومن هذه المقاطع المغلقة:

مَن: ص ح ص.

في: ص ح ص.

غضب: ص ح + ص ح ص فى حالة الوقف.

خير: ص ح ص ص فى حالة الوقف.

عقوقه: ص ح + ص ح ح + ص ح ص في حالة الوقف.

سليم: ص ح + ص ح ص ص في حالة الوقف.

كليم: ص ح + ص ح ص ص في حالة الوقف.

إلى غير ذلك من المقاطع التي تناسب الفكرة من النص السابق، وهي (الحذر الحذر).

(ب) الفونيمات فوق التركيبية:

- الإيقاع الصوتي الناشئ عن السجع في «خيره ـــ شره»، «سليم ـــ كليم» يضفي على الكلام رونقًا و بهاءً؛ حتى يحبِّب إلى أولاده تلقّي الوصية بنفس مشتاقة إلى سماع ما يقول.
- وجاء التنغيم هابطًا في الجمل الخبرية التقريرية؛ لأنها حقائق مسلَّم بها لا تقبل الجدال أو النقاش، ولا تحتاج إلى جواب في مثل: «لا خير فيمن لا روية له عند الغضب»، و «من الناس من لا يُرْجى خيرُه ولا يخاف شرُّه».

ثانيًا: الدلالات الصرفية وإيحاءاتها النفسية فى النص السابق عند عمرو:

- استعمال كلمة «خير» الدالة على التفضيل في قوله: "عقوقه خير من بِرِّه".

فكلمة «خير» اسم من أسماء التفصيل ولكن بغير همزة على غير القياس، ومن هذه الأسماء «خير، شر، حب»(١).

فالتفضيل هنا ناجم عن خبرة عميقة؛ حيث حذر أولاده من وصل من لا فائدة منه ترجى، فعقوقه أفضل من بره.

- بناء الفعل «عُوتِب» للمجهول في «إذا عُوتِب لم يعتب»؛ للدلالة على قبول أعذار الناس والعفو عنهم، بغض النظر عن المخطئ في حقهم، وكذلك اعتذارهم للناس عند الخطأ دون النظر إلى من أساءوا إليهم.
- بناء الفعل «يُرْجَى»، و «يُخاف» للمجهول؛ للإيحاء من عمرو بأن هناك صنفاً من الناس لا يُرْجَى منهم خير لأي أحدٍ مهما كان.
- كلمة «قبيح» صفة مشبهة، والصفة المشبهة كما ذكرنا سابقًا تدل على الثبوت والاستمرار واللزوم، وهذا يوحي بتحذير عمرو لأولاده من الإفراط في الحب والكره؛ حتى لا ينتهي بهم إلى أمرٍ قبيحٍ بغيضٍ.

فثبوتهم واستمرارهم على الإفراط فى الحب والكره ستكون عاقبته غير مرضية لهم.

- مجيء الفعل «سلَّم» على وزن (فعَّل) في آخر الوصية؛ للدلالة على التكثير فى الفعل.

(١) ينظر: شذا العرف في فن الصرف لأحمد الحملاوي ص٩٦، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، طبعة: مكتبة الرشد الرياض.

"فصيغة (فعَّل) تأتي للتكثير فى الفعل كـــــ: جَوَّل، طَوَّف، أي: أكثر الجَوَلان، والطَّوَفان، أو في المفعول كـــــ: غلَّقت الأبواب، أو في الفاعل كـــــ: موَّتت الإبل، و برَّكت"(١).

وهذا يوحي بكثرة دعاء عمرو لأولاده بالسلامة من كل مكروه، وأن يحفظهم ربُّهم ويرعاهم.

ثالثًا: الدلالات التركيبية و ايحاءاتها النفسية في النص السابق عند عمرو:

- جاء التركيب في «وكم قد زَارَني إنسانٌ وَزُرْتُه فانقلبَ الدَّهرُ بنا فُبُرْتُهُ» مُصدَّراً بـــــ «كم» الخبرية التي تفيد التكثير(٢)، و «قد» التي تفيد التحقيق؛ ليدلل ويبرهن على ما أوصاهم به.

حيث حذرهم من الإفراط في الحب، وأكَّد ذلك بكثرة تحاربه الحياتية في معاملة الناس، فكم من أناس كانت بينه وبينهم علاقات وطيدة قوية ولكن سرعان ما انتهت بسبب تقلب الدهر وأحداثه.

- جاء التركيب «واعلموا أنَّ الحكيمَ سَليمٌ، وأن السَّيف كَلِيمٌ» مصدَّرًا بـــــ «اعلموا»، و «أنَّ»، وتكرار «أنَّ»؛ لتأكيد وتقرير حقيقة مسلَّم بها، وهي أن الحكمة أساس السلامة والنجاة.
- جاء التركيب « إنّي لم أَمُتْ ولكن هَرِمْتُ» إيحاءً من عمرو لأولاده بأنه على مشارف الموت؛ مما جعله حريصًا على وصيتهم.
- ختم عمرو وصيته بقوله: "سلَّمكم ربُّكم وحيَّاكُم"، وهذه جملة دعائية توحي بمدى حبه لأولاده؛ مما يدل على أبوته الصادقة.

(١) ينظر: المصدر السابق ص٣١.
(٢) ينظر: النحو الوافي لعباس حسن ٥٧٢/٤، ط: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشر.

وتوحي الجملة الدعائية بتلك العاطفة الجيَّاشة من عمرو تجاه أولاده، وما تنطوي عليه نفسه من رحمة وشفقة عليهم، ولِمَ لا؟! فهم فلذات الأكباد، وزينة الحياة الدنيا.

وبعد تحليل للنص السابق من الوصية يتبين تعانق الدلالات الصوتية، والصرفية، والنحوية في كشف اللثام عن نفسية عمرو الجياشة تجاه أولاده؛ حيث عدَّد لهم أمورًا وحذَّرهم من فعل صفات معينة؛ حتى يعيشوا حياة سعيدة هادئة، وينعموا بالذكر الحسن، والسيرة الطيبة بين الناس.

الخَاتمَة

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الأنام المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد...

فبعد تحليلنا لنص وصية عمرو بن كلثوم لأولاده في ضوء علم اللغة النفسي تمخض البحث عن نتائج، أهمها ما يلي:

١) الوصية فن نثري يضع فيه الموصي خلاصة تجاربه الحياتية الناتجة عن عراك مع الحياة.

٢) يعد علم اللغة النفسي ــ الذي هو أحد فروع علم اللغة التطبيقي ــ من أهم العلوم التي تكشف عن نفسية المتحدث.

٣) تعبر وصية عمرو بن كلثوم لأولاده عن شخصية سويَّة تأدبت بآداب الإسلام قبل أن تعرف الإسلام و آدابه.

٤) تعانق وتكاتف الدلالات الصوتية (الفونيمات التركيبية، وفوق التركيبية)، والصرفية، والتركيبية في كشف اللثام عمَّا تنطوي عليه نفس عمرو من عاطفة جياشة تجاه أولاده؛ مما جعله يسدي إليهم هذه النصائح الأبوية، والخبرات الحياتية.

٥) مثلت الوصية العصر الجاهلي خير تمثيل عندما تحدث عمرو عن القيم والمُثل العليا التي كانت سائدة في هذا العصر في قالب لغوي رائع، ثم جاء الإسلام وأرسى قواعد هذه القيم وتمَّمها.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، د. نجاة عبد العظيم الكوفي، ط: دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

٣) أساليب النثر الفني للطيف محمد الحكام، مطبعة الآداب بالنجف.

٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط: دار الثقافة ببيروت، ط٦ سنة ١٩٨٣م.

٥) تاريخ الأدب الجاهلي د. حنفي محمود، د. مصطفى أحمد قطاع اللغة العربية.

٦) التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا، ط: دار الحديث بالقاهرة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٧) تعريف الأفعال لعبد الحميد عنتر، ط: دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الخامسة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م.

٨) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام لأحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية ببيروت ـــ لبنان.

٩) ديوان عمرو بن كلثوم، تح: د. اميل يعقوب ، ط: دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

١٠) دراسات في التجويد والأصوات د. عبد الحميد أبو سكين، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

١١) رياض الصالحين للنووي، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد، ط: دار المنار.

١٢) شذا العرف في فن الصرف لأحمد الحملاوي، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر، طبعة مكتبة الرشد بالرياض.

١٣) شرح تسهيل الفوائد لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي، تح: د. محمد عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي ، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

١٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، ط: دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

١٥) الصحاح للجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

١٦) صحيح مسلم بشرح النووي، ط: دار الشعب.

١٧) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ط: دار الرشيد بحلب ـ سوريا.

١٨) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، شرح: محمود محمد شاكر، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

١٩) علم الأصوات د. كمال بشر، ط: دار غريب ٢٠٠٠م.

٢٠) علم الصوتيات د. عبد الله ربيع، د. عبد العزيز علام، ط: مكتبة الطالب الجامعي بمكة المكرمة ـــ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢١) علم اللغة د. السعران، ط: دار النهضة العربية ببيروت ـــ لبنان.

٢٢) علم اللغة العام أسسه ومناهجه د. عبد الله ربيع، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

٢٣) عن علم التجويد القرآني فى ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د. عبد العزيز علام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٢٤) في الوصايا وتحليل بعض الوصايا فى العصر الجاهلي لجهاد يسر راتب.

٢٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٢٦) لباب الآداب لأسامة بن منقذ، تح: أحمد شاكر، ط: مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢٧) لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر ببيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٢٨) اللغة العربية وأصواتها د. محمد متولي منصور ، د. مصطفى محمد إسماعيل، الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.

٢٩) مختار الصحاح للرازي، تح يوسف الشيخ، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٤م.

٣٠) مدخل إلى علم الأصوات العربية د. أحمد علي ربيع، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

٣١) معاني الأبنية فى العربية لفاضل صالح السامرائي، ط: دار عمار، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٣٢) معاني النحو لفاضل صالح السامرائي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع بالأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٣٣) معجم الشعراء للمرزباني، تح: عبد السند أحمد فراج، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٣٤) المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

٣٥) النحو الوافي لعباس حسن، ط: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشر.

٣٦) الوصايا فى الأدب العربي القديم لسهام فريح، ط: مكتبة المعلا ـــــ الكويت.

٣٧) الوصايا في عصر صدر الإسلام د. علي حسين محمد، مجلد ٢٠، العدد (١)، جامعة تكريت للعلوم.